قمة السنام التي ارتقى اليها الشهيد عبد الله عزام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وبعد...

مما لاشك فيه أن الجهاد في سبيل الله؛ هو ذروة سنام الإسلام، كما جاء في الحديث: (وذروة سنام الإسلام الجهاد)، وفريضة الجهاد كبقية الفرائض تبقى لازمة في عنق المسلم ما دام هنالك أراضي سلبت من المسلمين ودنست بأرجاس الكافرين، وما دام أن دين الله غائبا عن الشهود والوجود بعد سقوط الخلافة سنة 1924م

وقد حذر الله عز وجل أولئك النفر الذين يقبعون في مساكنهم يأكلون ويشربون وهم هانئون بـ "العذاب الأليم" في الوقت الذي يجتث فيه دين الله من الوجود على أيدي أبناء بشرته الجغرافية ممن يتسمون بالمسلمين، فقال: {إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير}.

وكثير من الناس يتعللون بالأماني الكاذبة والسراب الخادع حتى يبرروا لأنفسهم قعودهم عن الجهاد مع الخوالف، وهؤلاء غالبا في عقيدتهم وهن ودخل.

يقول الشهيد في كتابه "في خضم المعركة"[1]: (وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي العقيدة دخل وفي إيمان صاحبه بها وهن وضعف).

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق)[2].

ومن هذا المنطلق نخاطب المسلمين في أصقاع الأرض وفي ديار الإسلام أن يتحركوا للنفير إلى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، حتى يصلوا إلى دار السلام في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

[1] ج 1/ص 7.
[2] رواه مسلم، انظر شرح النووي 3/65.

وقد روى البخاري ومسلم أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: (تضـمن اللـه لمـن خـرج فـي سـبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمـان بـي وتصـديق برسـلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الـذي خـرج منه بما نال من أجر أو غنيمة).

والمشاركة بالمال هو جهاد في سبيل الله - إن كـان معذورا عن المشاركة بالنفس - وإن اختلفـت الدرجـة فـي ذلك، لهذا نجد النبي عليـه الصـلاة والسـلام قـد حـث علـى تجهيز الغزاة كما جاء في الصحيحين: (من جهـز غازيـا فـي سبيل الله فقد غزا ومـن خلـف غازيـا فـي أهلـه بخيـر فقـد غزا)، ويقول عليه الصلاة والسلام للمتخلفيـن عـن الجهـاد: (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثـل نصـف أجر الخارج).

إن الإرتقاء ومحاولة الصعود إلى ذروة سـنام الإسـلام هـو القمـة السـامقة فـي هـذا الـدين، ولا يصـل إلـى هـذا المستوى الرفيع إلا من تحرر من أسر المادة وحـب الهـواء وقيد الشهوات وذل العبيد.

إن شهيدنا قد ارتقى إلى ذروة سـنام الإسـلام بفضـل من الله، وما كان ليصل إليها إلا أفذاذ العلماء القلائل ممـن تشربت روحه من ذلك النبع الصافي وذاق حلاوة الجهاد.

لقد كان شهيدنا الغالي يحاول - ما استطاع إلـى ذلـك سـبيلا - أن يرتقـي بالنـاس ويرتفـع بهـم إلـى هـذه القمـة السامقة - ذروة السنام - حيث رفعه الله إليها، وكان ينظـر إلـى المسـلمين المستضـعفين فـي الأرض نظـرة إشـفاق وحسرة وهم توجه إليهم اللكمات الوحشية في كـل مكـان، كأن يرى طلائع البعث الإسلامي يقتلون ويسجنون، وتوضـع الأغلال في أعناقهم وأيديهم دون أن يحركـوا سـاكنا، ودون أن يملكوا لأنفسهم حيلة يردون بها على الجبـابرة والطغـاة الذين نصبوا من أنفسهم أصناما بشرية تعبد من دون الله.

وكان البعض ينظر إليه مـن بعـض الروايـي المرتفعـة قليلا والتي يجلسون عليها - وهم بظنهم أنهم قد وصلوا إلى قمة الإسلام - ليجدوا أنفسهم في النهاية أنهم لا زالـوا فـي قعر الوادي، وهو يسرع أمامهم وقد وصـل بـه المقـام إلـى قمة سنام الإسلام وهو ينشد أمامهم؛ المجد للسـيف ليـس المجد للقلم.

ونحن نعذر أمثال هؤلاء لأن نظرتهم للأمور تبقى من حيث انتهوا ووصلوا، فهم يظنون أنهم قد وصلوا إلى نهاية المطاف وهم لايعلمون أنهم قد تخلفوا عن اللحوق بالقافلة.

كان الشهيد يرى أن الجهاد في سبيل الله - القتال بالسلاح - أمر لازم لحفظ الشعائر التعبدية والمساجد والهيئات والمسابح واللحى وعقيدة المسلمين، كل هذه الأمور محمية بالجهاد والسلاح مصداقا للآية: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا}.

إن الشهيد كان كالنور يستقطب ويجمع طاقات المسلمين، والشباب يلتفون من حوله، كما يدور الفراش على الضوء، وقد كان محسودا في حياته ولعله يكون محسودا في مماته، إذ كان لكلماته الجذابه سر في إقبال الناس عليه والتفاف الشباب من حوله حيثما حل وحيثما ارتحل.

لذلك رآه الشباب يحمل السلاح - فلحقوه وتبعوه - وهو عالم من العلماء، وصاحب درجة علمية كان بإمكانه أن يجلس على الفراش الوثير ويسترخي وتشده الأهواء إلى مستنقع الطين، لكنه حرم على نفسه أن يهدأ له بال أو يقر له قرار وهو يرى نار المحنة تحرق قلوب المسلمين.

لقد رأينا من ضمن وصاياه لأولاده؛ (والله ما أطقت أن أعيش في قفصي معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، ولم استطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين).

بعض مناقب الشهيد...

ونحن إذ أردنا أن نقف على مناقب الشهيد فسنجدها كثيرة، ولكن سنضع بين يدي القارىء بعضا منها علها تكون لنا درسا نعتبر منها:

أولا؛ العزة والإباء:

وهذه هي السمة البارزة التي كانت تظهر على شخصية الشهيد تجاه الأعداء والطواغيت، وقد امتثل قول الله تعالى: {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين

يجاهدون في سبيل الله}، لذلك نجده لم يحن هامته طول حياته إلا لخالقه العزيز الجبار، ولم يطأطىء رأسه للطغاة والجبابرة.

ويوم أن فصل من الجامعة جرت هناك محاولات عدة لاستدراجه ومحاولة غمز عوده عن طريق الترغيب من أجل إعادته إلى الجامعة، فطلب وزير الداخلية آنذاك مقابلته، وعند اللقاء قال له الوزير: (أنت تهاجمنا على المنابر وتتكلم علينا)، وفي نهاية الحديث كانت نصيحة الوزير للشيخ الشهيد أن يعتذر لمدير المؤسسه الصحفية الذي هدده الشهيد على تلك الصورة التي وضعت في جريدة "الرأي" والتي تهكم فيها على العلماء، فرد عليه الشهيد يومها: (والله لو جاء واعتذر لي ما قبلت اعتذاره).

وهذه الحادثة تذكرنا بعزة السلف الصالح أمثال العز بن عبد السلام يوم أن جاءه الناس يرجونه أن يعود إلى منصبه في القضاء مقابل أن يقبل يدي الحاكم فقال: (يا ناس! أنتم في واد ونحن في واد، والله لوجاء وقبل يدي ما قبلت).

ثانيا؛ الشجاعة والحماسة:

ونحن عندما نريد أن نتكلم عن سمة بارزة في الشهيد نظن أنها هي السمة الغالبة على شخصيته، لقد طرق الدعاة أبواب الدعوة فوجدوا الشهيد قلعة حصينة من قلاعها، وعندما تحدث الناس عن الجهاد وجدوه علما بارزا من أعلامه.

وقد كان آخر مقالة كتبها الشهيد قبل استشهاده بعنوان "لأسود الجائعة" تحدث في مقدمة المقال عن الشجاعة وأن عمادها القلب، وأن القلب إذا امتلأ بالإيمان فإنه يعود لا يخشى أحدا إلا الله، ولا يخاف من الموت بل يقبل على الموت في ساحات الوغى بشكل منقطع النظير.

ولقد وجدنا هذه الصفات قد انطبقت على شهيد الأمة الإسلامية، فشجاعته في المعركة ليس لها نظير، لم يكن يرضى إلا أن يتقدم الخطوط الأمامية للعدو مع حرص المجاهدين عليه دائما ومحاولتهم اقناعه أن لا يتقدم إلى الأمام خوفا عليه، وقد شهدت له أرض أفغانستان في جاجي – المأسدة - وقندهار، ففي قندهار اخترق الصفوف

في منطقة سهلية حتى وصل على بعد [1500 متر] من مواقع الشيوعيين.

كان الناس يعتكفون العشر الأواخر من رمضان في المساجد، أما الشهيد فقد اعتكف السنوات الماضية العشر الأواخر من رمضان وخصوصا العام الماضي، فلقد رابط في العشر الأواخر من رمضان في ساحة المعركة - جلال آباد - وكان على أبوابها يبعد عن العدو عدة كيلومترات وهو يبوىء للمؤمنين مقاعد للقتال.

وقد كان لشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر الكبير في شخصية الشهيد، يقول الصحابة رضوان الله عليهم: (كنا إذا اشتد البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه ليكون أقربنا إلى العدو).

كان الشهيد يعبر عن السعادة الغامرة التي تملأ قلبه وهو يحيا هذه الحياة الجهادية حيث يقول: (ما أجملها من أيام تقضيها بين المجاهدين كل واحد ارتقى قمة جبل مرابطا وراء سلاحه... حتى إذا جن الليل لا تسمع منهم إلا صوت التكبير يقطع صمت الظلام الساجي).

ويقول عن أمثال هؤلاء: (إنه يرى الموت كل يوم مرات ليوفر الحياة الحقيقية والسعادة والعزة للأمة المسلمة، يسهر كل ليلة لينام الناس، ويحزن ليهنأ المسلمون من ورائه)[3].

كان الشهيد لا يلذ لأذنه إلا سماع صليل السلاح وهدير الطائرات، ونغمات القذائف والرصاص وخوض غمار المعارك والحروب.

ثالثا؛ الزهد والبعد عن الترف:

وحسبك في هذا أنه ترك الدنيا وطرحها عن عاتقيه، وأقبل على الجهاد والاستشهاد حتى نال الشهادة.

ويوم أن قاتل على أرض فلسطين بعد سنة 1967م ترك الوظيفة وآثر أن تسكن زوجته وأولاده الثلاثة في غرفة واحدة تكاد أن تكون مظلمة بلا تهوية ولا مطابخ ولا حمامات.

---

[3] انظر عبر وبصائر: ص 10.

وحسبك في زهده أنه ترك العمل في الجامعة الإسلامية - إسلام آباد - وتفرغ للجهاد عندما شعر أن هذه الوظيفة تعيقه وتعرقل سير جهاده.

ثم إنه غادر الحياة الدنيا تاركا الله ورسوله لعياله، وكان بإمكانه أن يكون صاحب الثراء والمال الوفير، وقد خرج من الدنيا دون أن يأخذ منها شيئا، لقد قدم إلى ساحة الجهاد بنفسه وماله وعياله ووظف كل ما يملك لصالح الجهاد.

وهو في هذا يسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام أحمد بسند صحيح: (أن رسول الله ص ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا)[4].

لقد جاءه بعض محبيه وقد خاف عليه أن يقتل يومها - يوم مؤامرة جنيف على الجهاد - وعرض عليه منصبا بأن يصبح مديرا لجامعة إسلامية حتى يحميه من تلك المؤامرة، ولكن الشهيد آثر أن يعيش كما عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى الترمذي بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت؛ لا يارب بل أجوع يوما وأشبع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك)[5].

ولو أراد الشهيد الدنيا لنالها وقد أقبلت عليه طائعة بزينتها، ولكنه كان يمقت الترف، وآثر حياة الجهاد على التقلب في أطراف النعيم، ولقد كان رحمه الله يعتبر الزهد من أعمدة الجهاد.

رابعا؛ حلمه وصبره:

وكيف لا يصبر وهو يعتبر الصبر أحد أعمدة الجهاد[6]، والصبر من طبيعة الجهاد، ولا يمكن أن يكون هناك جهاد بدون صبر.

---

[4] المسند، برقم 2724.
[5] انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي: ج 9/ص 209 باب الزهد.
[6] في خضم المعركة: ج 1/ص 3.

أذكر يوم أن أنكفأ القدر بما فيه من مرق ساخن[7] على يد ابنه الصغير مصعب وإذا بالبيت يرتبك، فقال لهم الشهيد بهدوء: (سبحان الله! إن بيوت الأفغان لا تخلو من عدة مصائب، فأحيانا تجد البيت فيه ماتم، وقد شوه وجه ابنه، أو قلعت عين ابنته، وهذا قطعت يده أو رجله، وهم مع ذلك صابرون محتسبون)، وإذا بالبيت فجأة يلفه الصمت ويرضون جميعا بقضاء الله.

وقد حاول الطواغيت في الأرض محاصرته ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه القمة السامقة التي تعيش فوق ذروة سنام الإسلام، فماذا فعلوا؟ وجهوا سهامهم وحركوا أذنابهم ليتنأوشه الأعداء من كل جانب، وليطلق المنافقون ألسنتهم بالسوء في محاولة لتشويه سمعته، ولكنه صبر وثبت واحتسب ذلك عند علام الغيوب، وكان لسان حاله يقول كما قال الشاعر:

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنا

ويوم أن كشر أهل النفاق عن أنيابهم وبدأت الأشرطة المسموعة والمنشورات تكتب ضده لتشويه سمعته قال له بعض الإخوة: (لو أنك ترد على هؤلاء)، فقال رحمه الله: (والله ما عندي وقت أن أقرأها فضلا عن أرد عليها).

لقد وكل أمره إلى الله، وكان لسان حاله يقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته فقال له أصحابه؛ لو دعوت عليهم، فقال عليه السلام: (إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة)، ثم قال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)[8].

وما رأيت الشهيد في حياته منتصرا لنفسه، ولكنه كان إذا انتهكت حرمات الله يغضب ويحمر وجهه، ولقد تخلق في هذا بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول بعض أصحابه ومنهم علي بن الحسن: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة

---

[7] هكذا في الأصل، والصحيح انكفأ إبريق الشاي بما فيه من ماء ساخن.

[8] رواه البخاري مختصرا، انظر شرح الكوماني برقم 3237 كتاب بدء الخلق.

ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله)[9].

خامسا؛ التواضع:

كان الشهيد رحمه الله على علو منصبه وشهرته ورفعة رتبته كان أشد الناس في هذا العصر تواضعا وأبعدهم عن الكبر.

قال لي كثير من الإخوة: (هذا الدكتور يختلف عن جميع الدكاترة الذين يحملون الشهادات!)، وكان بعضهم يقول؛ إنه رجل شعبي، كان وهو في الجامعة يجلس مع طلابه ومريديه يعلمهم وينهلون منه المعرفة والعلم والخلق القويم، كان طلابه ومريدوه لا يشعرون يفارق بينهم وبينه، وكان عندما يذهب إلى الجبهات أو إلى مخيمات التربية الإسلامية داخل أفغانستان يقول للإخوة: (عاملوني أنا وأولادي كما تعاملون أي واحد منكم)، وكان هذا منتهى التواضع منه، كيف لا؟! وقد اختار حياة الجهاد وهي أصعب عبادة وأشقها على النفس، ورفض أن يتقلد أعلى المناصب الرفيعة.

وقد كان الشهيد خير قدوة له في هذا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام الذي رفض أن يكون ملكا نبيا، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسند صحيح: (إن الله خير نبيه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا)[10].

ولو ذهبنا نستقصي مناقب الشهيد لاحتجنا إلى أسفار وأسفار، عن ماذا نتحدث؟! عن إيثاره أو عن صفائه وحيائه أو عن كرمه وجوده أو عن صدقه وإخلاصه وتجرده لله تعالى ووقوفه عند الحق؟! فحدث عن ذلك ولا حرج.

وفي المقابل؛ ما من عالم إلا وله هفوة، وما من جواد إلا وله كبوة، وشهيدنا الغالي كان محيطا هادرا، وإذا صدرت منه هفوة فهي تغرق في وسط هذا المحيط، ولنا في قول رسول الله أسوة حسنة: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعثر ويده بيد الرحمن).

---

[9] رواه مسلم، انظر شرح النووي 15/84 - 85 كتاب الفضائل.
[10] انظر المسند: ج 1 / برقم 7160.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ten.esedqamla.www//:ptth
sw.dehwat.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth